

السياسة والمجتمع في العالم الثالث: مقدمة

تأليف: بيتر كالفرت و سوزان كالفرت

ترجمة

الدكتور عبدالله بن جمعان الغامدي

الناشر

مطابع جامعة الملك سعود 2002

الفصل الأول

ما العالم الثالث؟

العالم الثالث: ماذا يعني؟

يهدف هذا الكتاب إلى إعطاء فكرة عامة عن العالم الثالث وإلى لفت الأنظار إلى مشاكله السياسية والاجتماعية. ونظراً لاتساع نطاق الموضوع الذي نحن بصددده فإن هذا الكتاب يعتبر متداخلاً المعارف. إذ ليس بمقدور تخصص أكاديمي واحد أن يطرح كل الأسئلة المحتملة ناهيك عن القدرة على تقديم الإجابات الممكنة للموضوعين الرئيسيين اللذين نحن بصددهما في هذا الكتاب: البيئة والتنمية. فكل الموضوعين جديان تماماً، ونجد معظم المواد المتعلقة بهما في مصادر حديثة تشمل الصحف والمجلات والبرامج المرئية والمسموعة، ولذلك فإن المهمة الرئيسية لهذا الكتاب تتمثل في جمع هذه المعلومات متضافرة في سلسلة من الدوائر الموضوعية المعقولة والمترابطة. ولكن قبل أن نشير إلى طريقة تنظيم الكتاب ينبغي لنا أولاً أن نحدد ونعرف موضوعه: العالم الثالث.

ما العالم الثالث؟ لا يمكن تجاهل حقيقة أنه ليس هناك اتفاق على كيفية تحديد أو تصنيف المصطلح، وبدواً أن الخلاف حول ذلك سوف يتسع نطاقه مع مرور الوقت، فهناك عدد من المختصين في الوقت الحاضر يحذون تجنب استخدام المصطلح أو استخدام مصطلحاً آخر. لكن مع ذلك فما زال هذا المصطلح معروفاً على نطاق واسع، وما زال ملائماً ككلمة كبيرة لدرجة أنه يستخدم بنفس القدر الذي كان يستخدم به قبل عشرين سنة مضت. كما أنه لن يكون هناك أدنى صعوبة في التوصل إلى اتفاق عام بين كثير من الكتاب حول المناطق والبلدان التي يشملها ذلك المصطلح. ولذلك فإن الجزء الثاني من هذا الكتاب سيتطرق للبيئة الطبيعية للعالم الثالث مع التركيز على دور كل من الجغرافيا والمناخ في تشكيل تلك البيئة. لكن مع هذا فإن عدداً من التساؤلات المهمة سيظل معلقاً دون إجابة.

ورغم أن عملية البحث عن درجة الدقة في أصول المصطلح قد تكون غير واضحة نوعاً ما إلا أن كثير من الباحثين يربط مصطلح "العالم الثالث" بالعالم الفرنسي سوفي المتخصص في الدراسات الإحصائية باعتباره أول من استخدم ذلك المصطلح في عام 1952م، حيث يعتقد بأنه مشتق من المصطلح الفرنسي "third estate" الذي استخدم للإشارة إلى عامة الشعب في مقابل الطبقة الأرستقراطية ورجال الدين. وفي السياق ذاته فإن محاولة التفكير في إيجاد خيار ثالث لذلك الانقسام السريع التام بين الشرق والغرب الذي ميز مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية لا يحتاج إلى كثير من التفسير. فعلى سبيل المثال، أشار

الجنرال خوان بيرون¹ في سنة 1948 م إلى ما رآه يمثل التطرف المبالغ فيه في كل من الفردية والدولة الجماعية أو الاشتراكية والذي تطلب من وجهة نظره ضرورة البحث عن طريق وسط. وقد أصبح في السنة التالية أصبح مصطلح "الموقف الثالث" بين الرأسمالية والشيوعية يمثل البند الرئيسي لمذهب "العدالة" لبيرون. وكما توقع بيرون فقد أصبحت مشاكل التحديد أكثر سهولة عندما أشارت فكرة عدم الانحياز ذاتها إلى تقسيم ثلاثي.

كما تطور مصطلح "العالم الثالث" إلى مفهوم للتنمية (Worsley 1967) مثيرا بذلك عدة إشكاليات. أبرزها أن المصطلح يمكن أن يشير إلى معان مختلفة لدى مختلف الناس والمؤسسات بالنظر إلى الاختلاف الكبير في مستويات التنمية، ومن ثم فإنه يمكن استخدام مؤشرات مختلفة لأشكال متعددة من التنمية. ولهذا لا يحتمل أن تتماثل مستويات التنمية لأي دولتين وفقا لكل المؤشرات.

ومن ناحية أخرى فإن تعريف أو تحديد العالم الثالث عن طريق ربطه بالفقر يعتبر أكثر إشكالية. فعلى الرغم من أن أقل الدول الأوروبية الغربية تطورا (البرتغال) تعتبر أفضل حالا من أي بلد في أمريكا اللاتينية - إذا ما قورنت بمؤشر الدخل الفردي - إلا أن الاعتماد على مؤشر واحد لا يعكس كل الحقيقة، إذ أن هناك كثير من الناس في أمريكا اللاتينية يعيش حياة محترمة يحسداهم عليها ليس فقراء البرتغال فحسب ولكن فقراء أي بلد صناعي متقدم كألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية. ومع انه قد تم تحديد وتعريف فقراء العالم حيثما كانوا بالعالم الرابع، إلا أن الاستخدام الأكثر تداولاً لهذا المصطلح هو ما يورده البنك الدولي الذي درج منذ 1978م إلى الإشارة إلى "عالم رابع" يشمل الدول الأكثر فقرا، مع استثناء بعض الدول النفطية الغنية في الشرق الأوسط من مجموعة العالم الثالث. وهناك مشكلة أخرى تجسدها تلك الدول المتطورة نسيا والتي مازالت تعاني من الفقر كما هو الحال في الدول الصناعية الجديدة² (NIC) New Industrial Countries.

ورغم تلك التحفظات، إلا أنه يمكننا القول أن العالم الثالث لديه مشاكل مشتركة على الرغم من أن تلك المشاكل نفسها ليست بالضرورة موجودة في كل بلدان المنطقة. ومن بين تلك المشاكل وأمثلتها: الجغرافيا (كحالة بنجلاديش)؛ انعدام أو ضعف البنية الأساسية (كحالة بوركينا فاسو)؛ الحرب والمجاعة (كحالة

¹ جنرال وسياسي أرجنتيني تولى رئاسة الجمهورية مرتين إحداهما خلال الفترة من 1946-1955 والأخرى من 1973-1974

² تطلق هذه التسمية على تلك الدول التي حققت مستويات عالية من التصنيع في النصف الثاني من القرن العشرين. وتضم معظم قوائم تلك الدول كل من كوريا الجنوبية وتايوان والبرازيل وأحيانا سنغافورة وهونج كونج وماليزيا.

الصومال)؛ الانفجار السكاني في بعض المناطق التي لا تشهد نموا اقتصاديا كافيا للإيفاء بالمطالب المتزايدة على الاقتصاد (كحالة دول أفريقيا جنوب الصحراء عموما). وتشترك دول العالم الثالث أيضا في تبعيتها الاقتصادية وتخلفها النسبي، حيث تعتبر تلك الدول في وضع غير مريح من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. ويؤكد كلافام Clapham إن ما يميز العالم الثالث هي هامشيتها الاقتصادية التي تعني الانفصال عن الاقتصادات الصناعية المسيطرة لكل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص والخضوع لها (3 : 1985).

فاقتصاديات العالم الثالث تعتبر جزءا من الاقتصاد الكوني لكنها اكتسبت ذلك الوضع منذ البداية بصفتها مصدرا للمنتجات الأولية كما أن النسق الكوني الذي انضمت إليه قد تم إنشاؤه ويتم المحافظة عليه بواسطة الاقتصادات الصناعية. ونظرا لأن التنمية في العالم الثالث تعتمد أساسا على استخدام تقنية العالم الأول فإن هذا يؤدي بالفعل إلى توسيع نطاق الفجوة بين العالم الأول والعالم النامي³. وعلى الرغم من نجاح تجربة الدول الصناعية الحديثة في نقل واستخدام التقنية الغربية إلا أن إمكانية تكرار مثل تلك التجربة في العالم الثالث تبدو ضئيلة جدا. ولذلك فإن المشكلة الرئيسية لبقية دول العالم الثالث تتعلق بالاستثمارات الغربية ومصادرها ، وهل ستكون استثمارات حقيقية في اقتصاديات تلك الدول؟ أم أنها ستكون مجرد نقلا للتلوث.

وقد حدد الاقتصاد الاستعماري الذي ورثته دول العالم الثالث بعد استقلالها نمط البنية الأساسية المتوفرة لتلك الدول. فمذ سنة 1945م كان هناك ازدياد في عدد الدول المستقلة في العالم من حوالي خمسين إلى قرابة مائتي دولة وكان من الطبيعي أن يعقد مثل ذلك الوضع إمكانية تحديد مجموعة واحدة تحتوي على قرابة ثلثي تلك الدول. لكن مع ذلك فإن ذلك الازدياد في عدد دول العالم الثالث قد لغت الأنظار والاهتمام بذلك الجزء من العالم أكثر من أي وقت مضى.

الاستعمار

خضعت كل دول العالم الثالث تقريبا للاستعمار، وهناك استثناءات ثلاث تتمثل في الصين وتايلاند وإيران التي تعرضت جميعها لضغوط كبيرة من القوى الاستعمارية لكنها في النهاية استطاعت أن تحافظ على استقلالها نتيجة للخلاف

³ يستخدم مصطلح العالم النامي من قبل بعض الكتاب والمنظمات الدولية للإشارة إلى مجموعة الدول التي لا تنتمي إلى مجموعة الدول الرأسمالية أو الاشتراكية بدلا من مصطلح العالم الثالث لتلافي المصاعب السلبية التي قد يثيرها استخدام مصطلح العالم الثالث ولذا فإن المصطلحين يعنيان الشيء ذاته.

الذي نشأ بين القوى الاستعمارية حول من له حق الاستئثار بتلك الدول. أما الاستثناء الرابع فإثيوبيا التي نجت من الاستعمار في القرن التاسع عشر لتقع ضحية لأطماع موسوليني الإمبريالية فيما بعد⁴. ومع ذلك ينبغي الإشارة إلى أن التجارب والممارسات الاستعمارية في دول العالم الثالث لم تكن في الحقيقة متشابهة بل كانت مختلفة بعضها عن بعض اختلافا كبيرا. ويمكن التمييز بين الممارسات الاستعمارية من خلال العوامل التالية:

- المرحلة التي تم فيها الاستعمار ومستوى التنمية الاقتصادية للقوى الاستعمارية ذات العلاقة.
- السياسات والممارسات المختلفة للقوى الاستعمارية. فبينما ركز الحكم الاستعماري الفرنسي على إبراز التفوق الثقافي مثلا؛ فإن الحكم الاستعماري البريطاني عمد إلى التركيز على التفوق العرقي، ولهذا كان الاستعمار الفرنسي ينظر إلى المستعمرات الفرنسية التي تعتق الثقافة الفرنسية على أنها جزءا من فرنسا، ومن أمثلة ذلك على وجه الخصوص (الجزائر) حيث تم دمجها بالقوة لتكون جزءا من فرنسا. وعندما قاومت غينيا بقيادة أحمد سيكوتوري الاندماج ، لجأ الفرنسيون إلى تدمير كل شيء فيها لم يستطيعوا نقله معهم عند مغادرتهم. أما أيديولوجية التفوق البريطانية فقد حالت بوضوح دون حدوث مثل ذلك الاندماج ولكنها في الجانب الآخر سهلت مهمة الرفض من جانب مستعمراتها.
- طبيعة المجتمعات الفقيرة المستعمرة. يمكن التمييز هنا بين مجموعتين من الدول: مجموعة دول أمريكا اللاتينية ومجموعة الدول الآسيوية والأفريقية. ففي معظم أنحاء القارة الأمريكية اللاتينية تمتعت تلك الدول بفترة طويلة من الاستقلال بالإضافة إلى أن مجتمعاتها التقليدية كانت ضعيفة إلى الحد الذي جعل مهمة تجاوزها واستيعابها أكثر سهولة. أما في دول آسيا وأفريقيا، فقط كان الحكم الاستعماري فيها أقصر مدة (إذ أنه لم يأت إلا في مرحلة متأخرة) كما أنها لم تنل استقلالها إلا حديثا. أما عمليات الاستيعاب والامتصاص الاستعماري للأنساق السياسية القائمة فيها فقد كانت أكثر تنوعا واختلافا كما أنها في بعض الأحيان لم تكن كاملة. وقد كانت المحميات مثل: مصر والمغرب وفيتنام وجزءا من ماليزيا ونيجيريا ... الخ أقل المناطق تأثرا.

ومع ذلك فإن التجارب الاستعمارية تشترك في بعض الخصائص ومنها:

⁴ لم يشر المؤلف إلى اليمن و معظم أجزاء الجزيرة العربية التي لم تخضع هي الأخرى للاستعمار الأوربي.

- الترسيم الاعتباري أو التحكيمي للحدود بين المناطق وخاصة في أواسط أفريقيا التي لم يصلها الاستعمار إلا في وقت متأخر ولم تقم فيها مستوطنات حيث اقتصر بناء المستوطنات على السواحل.
- استعمال القوة في فرض النظام السياسي والإداري على الرغم من أن الانصياع له كان يبرر محليا في الغالب بالتفوق التقني للأوروبيين.
- إن الأنظمة الإدارية الاستعمارية جميعها كانت تسلطية ومركزية. فالحكم الاستعماري بلا استثناء حتى ذلك الذي إقامته دولة ديمقراطية كالولايات المتحدة الأمريكية أثناء حكمها للغليبين وكوبا (لفترة وجيزة) كان تسليطا وديكتاتوريا.

الاستقلال

حققت معظم دول أمريكا اللاتينية استقلالها مع بداية القرن التاسع عشر، أي قبل وقت طويل من حصول دول العالم الثالث الأخرى على استقلالها. فقد حصلت الأرجنتين على استقلالها الفعلي في سنة 1810 م ورسميا في سنة 1816 على الرغم من عدم اعتراف أسبانيا بهذا الاستقلال حتى سنة 1853م.

أما بقية المستعمرات الأوروبية في آسيا وأفريقيا فلم تتل استقلالها إلا في وقت متأخر وبعد أن حطمت الحرب العالمية الثانية أسطورة التفوق والهيمنة الأوروبية التي كان لها الدور الأكبر في الإبقاء على الحكم الاستعماري من ناحية، بالإضافة إلى تشجيعها على نمو الشعور القومي متمثلا في حركة التحرر الوطنية في الدول المستعمرة من ناحية أخرى. وقد تولى زمام قيادة الحركات الوطنية تلك أفراد تلقوا تعليما غربيا مثل كوامي نيكروما⁵ في ساحل الذهب (غانا). وقد اختفت الرغبة في حيازة المستعمرات بعد عام 1945م بين قطاعات كبيرة من النخب الحاكمة للقوى الأوروبية المنهكة: بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا، بعدما اصبح التناقض بين قيم القوة الاستعمارية ومثالية الاستقلال في هذا الوقت اقل بكثير جدا مما كان سائدا في الماضي. وبمجيء الاستقلال كان لابد لتلك الآراء أن تتغير بسرعة عندما تبلورت الهوية الجديدة للدولة.

⁵ أول رئيس لدولة غانا (ساحل الذهب سابقا) ارتبط اسمه كثيرا بتاريخ غانا السياسي الحديث. وصل إلى السلطة عن طريق الانتخاب الشعبي من خلال تزعمه لحزب المؤتمر الشعبي (CPP) في عام 1951 لكنه ما لبث أن لجأ إلى تركيز السلطة بيده بعد حصول غانا على استقلالها من بريطانيا. تميز عهده بإنشاء سد نهر الفولتا وإقامة مشاريع الطاقة الكهربائية إلا أن اتهامه بالاستبداد فضلا عن إخفاق السياسات الاقتصادية التي اتبعتها وانحيازه في نهاية الأمر إلى جانب المعسكر الاشتراكي في الحرب الباردة اسهم في حدوث انقلاب عسكري وضع نهاية لحكمه عندما كان في زيارة خارجية للصين في 1966.

ومع ذلك فقد أصبحت المؤسسات التي خلفتها القوى الاستعمارية وراءها لخدمة أهدافها الخاصة هي الركائز الأساسية التي قامت عليها الدولة الحديثة عند الاستقلال في جميع الحالات. وقد ترتب على ذلك أن أصبحت الدول حديثة الاستقلال قوية وضعيفة في نفس الوقت. فتمثلت مظاهر قوتها في بقائها سليمة ، قائمة بوظائفها ومركزيتها للسلطة - فلم يكن بين الدول المستقلة حديثا دول فيدرالية بحق إلا الأرجنتين والبرازيل والمكسيك والهند ونيجيريا، إلا أن كل هذه الدول شهدت منذ الاستقلال صراعا مستمرا بين الحكومة الفيدرالية من جهة وحكومة الولايات من جهة أخرى مع اختلاف النتائج التي نتجت عن هذا الصراع. وأما مظاهر ضعف الدول المستقلة حديثا فتمثلت في افتقادها للمرونة وفي كثرة الانتقادات القومية الموجهة لها والمرتكزة حول عدم ملائمة تنظيمات تلك الدول لاحتياجات وتطلعات شعوبها وذلك لارتباطها بزمر قيادية صغيرة بدلا من ارتباطها بالشعب كله مما أدى إلى افتقادها للشرعية اللازمة للحكم، وبالتالي إلى انتشار الفساد الذي ساهم بدوره في إضعاف الشرعية القائمة على نحو ملحوظ.

أن محاولات النخب المستغربة، التي كان أفرادها يعدون أنفسهم الورثة الشرعيين للاستعمار، استنزاف كل موارد الدولة الموجودة قد أدى إلى تشويه عملية التنمية في تلك الدول، كما أن افتقار حكومات تلك الدول لخطط تنمية قادرة على تمويلها وتشبث نخبها بالسلطة بقوة نظرا لأن الفوائد العائدة عليها من سيطرتها على الدولة كانت تفوق بشكل كبير تلك المتوفرة من مصادر أخرى قد أدى في أحسن الأحوال إلى حدوث تدافع غير شريف بين أفراد النخبة الحاكمة مما أدى إلى تقويض ما بقي من شرعيتها. أما في أسوأ الأحوال فقد أدى ذلك إلى اضطهادها للمعارضة واستخدامها المحسوبة والرشوة لمكافأة مؤيديها السياسيين. ونظرا لأن الدولة الفاقدة للشرعية لا تستطيع في الغالب أن تبنى شرعيتها بأناة من خلال التطور التدريجي فإنها بدلا من ذلك غالبا ما تنزع إلى إجراء تغييرات دستورية متكررة، وإلى محاولات سطحية أخرى لتعزيز شرعيتها مما يؤدي إلى زعزعة الاستقرار الداخلي في تلك الدول.

وهناك ارتباط وثيق بين عدم الاستقرار الداخلي وعدم الاستقرار الخارجي يمكن إيجازه في الانكشافية Vulnerability أو القابلية للتهديد نتيجة لفقدان الشعور بالاستقلالية. ويبرز مثل ذلك الضعف بوضوح في السوق العالمية كما يبرز في فقدان أي تأثير على المؤسسات المالية الدولية مثل صندوق النقد الدولي⁶

⁶ مؤسسة مالية دولية برزت كفكرة في مؤتمر برنتون وودز في 1944 وخرجت إلى حيز التنفيذ في عام 1946. ويتمثل هدفها الرئيسي في العمل على استقرار النظام النقدي الدولي باعتباره أساسا ملائما للتوسع المنتظم للتجارة الدولية. ويضم الصندوق في عضويته أكثر من 150 دولة ومن بين المهام التي يقوم بها الصندوق مراقبة سياسات أسعار الصرف في الدول الأعضاء

International Monetary Fund (IMF) والبنك العالمي⁷. ولذلك فإن السياسات الداخلية الأمريكية يمكن أن تؤثر تأثيرا سلبيا على دول العالم الثالث كما حدث في الثمانينيات عندما ارتفعت معدلات الفائدة ارتفاعا كبيرا. كما أن دول العالم الثالث تعتبر أيضا أكثر عرضة للتأثر بالكوارث الطبيعية كما هو ملاحظ في الفرق الواضح بين مقدرة كل من بنجلاديش وهولندا على سبيل المقارنة في مجال السيطرة على الفيضانات والتحكم فيها.

"نهاية التاريخ" هل يعني نهاية العالم الثالث؟

تذكرنا نشوة الانتصار التي أبدتها فرانسييس فوكوباما⁸ (1992) وتأكيدده على أن الدول الديمقراطية الليبرالية تمثل أرقى أنواع المنظمات الاجتماعية الإنسانية بذلك التفاؤل المفرط الذي صاحب نظريات التحديث في الماضي القريب التي قامت على خطط عمل مفترضة طويلة الأمد تركز على الاقتصاد الرأسمالي العالمي ويمكن تحقيقها من خلال عمليات السوق العالمية والتبرعات السخية

وتقديم القروض المشروطة بتطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادي لدعم سياسات التكيف عندما تواجه تلك الدول صعوبات في ميزان مدفوعاتها وتوفير المساعدة الفنية من خلال وسيلة تعويض مالية خاصة... ولمزيد من التفصيل في هذا الشأن انظر د. إبراهيم العيسى - صندوق النقد الدولي - مكتبة العبيكان طبعة 1992.

⁷ البنك العالمي - اختصار للبنك الدولي لإعادة الإعمار والتنمية (IBRD) - وهو مؤسسة مالية عبر حكومية يضم في عضويته أكثر من 150 دولة ويقع مقره في العاصمة الأمريكية أنشي في ديسمبر عام 1945 بناء على خطة قدمت في مؤتمر برنتون وودز بهدف إعادة اعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية أما اليوم فانه يقدم المساعدة في رفع مستوى الإنتاجية والدخل وتقليص الفقر في البلدان النامية. كما يقدم قروضا مالية بفوائد منخفضة للدول النامية لتشجيع التنمية الاقتصادية فيها. ويحصل البنك على معظم موارده من خلال بيع سندات في أسواق المال العالمية الرئيسية.

⁸ كاتب ومفكر أمريكي من أصل ياباني ارتبط اسمه بمقولة نهاية التاريخ التي ضمنها كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" والذي حاول فيه التأكيد على أن الهيمنة الليبرالية الرأسمالية تمثل نهاية للتاريخ البشري من حيث هو صراع بين الأيديولوجيات وذلك لأنه يعتقد أنه لن يكون بمقدور أي أيديولوجية أخرى أن تنافس الأيديولوجية الرأسمالية. أثار الانتباه في الآونة الأخيرة إلى تزايد دور المرأة في المجال السياسي في الدول الديمقراطية مما جعله يستنتج بان ازدياد نفوذ المرأة في المستقبل أو ما يطلق عليه بتأنيث المستقبل يحمل في طياته ناحية إيجابية لاعتقاده بأن النساء أكثر ميلا إلى السلام والابتعاد عن الحروب من الرجال.

لمجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى⁹. أما الجدل الذي برز حديثا حول مدى تأثير سقوط الاتحاد السوفيتي على استمرار أهمية مفهوم العالم الثالث فهو خلاف ذو شقين:

□ يشير الشق الأهم إلى انتفاء المعنى الحرفي للمصطلح إذ بدون وجود عالم ثان¹⁰ يصبح مصطلح العالم الثالث عديم الأهمية.

□ إذا أريد الاحتفاظ بالمصطلح فإن استخدامه سيصبح أكثر صعوبة وتعقيدا نظرا لاختفاء مجموعة دول العالم الثاني ولعلاقات تلك الدول المختلفة وأحيانا المتكافئة مع كل من دول العالم الأول والعالم الثالث. فإلى أيهما يمكن تصنيف جمهوريات آسيا الوسطى وأوكرانيا وروسيا؟ وإذا أمكننا تصنيفها فهل يعكس ذلك التصنيف شعور الانتماء لتلك الدول سواء لمجموعة دول العالم المتقدم أو كجزء من العالم الثالث الجديد؟ وهل سيقى الوضع كما هو عليه بعد سنتين من الآن على سبيل المثال؟

وهناك عدد من النقاط التي يمكن إثارتها للرد على مثل هذه المزاعم:

□ من الناحية العملية يمكن القول بأن الانضباط الذي رافق الحرب الباردة¹¹ ونوعية التحالفات التي أنتجت تلك الحرب كانت مسنولة إلى حد كبير عن الاستقرار الذي شهدته العلاقات الدولية. ولذلك فإن اختفاء مثل ذلك الانضباط الآن يضيف على منطقة العالم الثالث أهمية أكبر مما مضى كموضوع للدراسة والاهتمام لأنها تمثل في الوقت الحاضر خطرا متعاطما يهدد استقرار العلاقات الدولية من نواح عدة.

□ يشعر البعض بأن سقوط الكتلة الشيوعية يمكن أن يسهم في زيادة أهمية العالم الثالث حيث لن يكون هناك أي خيار آخر أمام تلك الدول يمكن اللجوء إليه. فليس هناك في الواقع بدائل أخرى للدول الفقيرة في ظل نسق الهيمنة الغربية. كما أن سقوط تلك الكتلة أدى إلى نهاية الاستقطاب

⁹ هي الدول الصناعية الديمقراطية الكبرى والتي تتكون من كلا من: الولايات المتحدة ، اليابان، ألمانيا، فرنسا، كندا، إيطاليا، وبريطانيا. ويجتمع قادة تلك الدول سنويا بشكل منتظم لمناقشة المشاكل السياسية والاقتصادية المشتركة ومحاولة تنسيق مواقف دولهم حيال القضايا الدولية.

¹⁰ كان مصطلح العالم الثاني يشير إلى دول الكتلة الاشتراكية التي كانت تتكون من الاتحاد السوفيتي السابق ودول أوروبا الشرقية.

¹¹ عبارة استخدمت لأول مرة من قبل بيرنارد باروش Bernard Baruch في 1948 لوصف البناء الأمني الثنائي القطب الذي ظل قائما حتى 1989 وتشير إلى المواجهة العسكرية والسياسية بين العالم الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة والمعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق

الأيدولوجي للعالم الثالث وبالتالي انتفاء حالات الانقسام والاختلاف بين دوله.

□ وهناك رأي آخر يزعم أن نهاية الحرب الباردة باختفاء العالم الثاني لن يكون له أدنى تأثير على مفهوم العالم الثالث لأن المصطلح كان إلى حد كبير تعريفا ذاتيا للدول الأكثر فقرا بغض النظر عن التوجهات السياسية والأيدولوجية لهذه الدول. وقد انعكس ذلك في التحركات المبكرة باتجاه إنشاء حركة عدم الانحياز وخاصة في مؤتمر باندونج للتضامن الأفروآسيوي الذي عقد في عام 1955 م وحضرته دول العالم الثالث المستقلة بغض النظر عن ميولها الأيدولوجية. ولذلك كانت كوبا على الرغم من تحالفها الوثيق مع الاتحاد السوفيتي السابق خلال الحرب الباردة من الأعضاء البارزين في تلك الحركة جنبا إلى جنب مع باكستان ذات الميول الغربية الواضحة.

□ وأخيرا والأكثر أهمية فإن التركيز على التعريف الذاتي يشير إلى أن تلك العناصر المشتركة التي أدت إلى انبعاث مصطلح العالم الثالث في البداية ما تزال قائمة على الرغم من أن الحرب الباردة قد انتهت. ومع أن عمليات السوق العالمية يمكن أن تعزز فرص بعض دول العالم الثالث خاصة تلك التي اجتذبت إمكانيات الربح في أسواقها المتنامية عددا من المستثمرين من العالم الأول أو (من النخب في العالم الثالث) مما قد يؤدي إلى زيادة التنوع الاقتصادي بين دول المجموعة، إلا أن الأسواق الحرة لن يكون باستطاعتها القضاء على الفقر العالمي حيث تدل الشواهد دلالة واضحة على أن مثل تلك الفرص تعتبر حالات استثنائية.

المؤشرات الاجتماعية وغيرها

نظرا للغموض الشديد الذي يكتنف عددا من المفاهيم الأكثر تداولاً في النقاش السياسي مثل مفهوم التنمية، فقد اعتاد العلماء الاجتماعيون على استخدام أنواعا مختلفة من المؤشرات لقياس تلك المفاهيم. ولذلك فقد أصبح من المألوف قياس التنمية الاقتصادية باستخدام مؤشر واحد، هو نصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي GNP ، والذي يمكن الحصول عليه بقسمة إجمالي الناتج القومي لبلد ما على عدد سكانه.

وعلى سبيل المثال، فإن الجدولين 1.1 ، 1.2 يتضمنان إحصائيات مختارة

لستتي

جدول 1,1 نصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي (بالدولار الأمريكي) لبلدان مختارة في سنة 1988

الترتيب	السكان (1988) البالغين	نصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي (\$ (1988)	معدل النمو توقعات الولادة	نسبة الأمية بين
مجموعة الدخل المنخفض	2,884,0	320	3,1	44
1 موزمبيق	14,9	100	-	62
17 نيجيريا	110,1	290	9,0	58
21 الصين	1,088,4	330	5,4	31
22 الهند	815,6	340	1,8	57
29 غانا	14,0	400	1,6	47
31 سيريلانكا	16,6	420	3,0	13
مجموعة الدخل المتوسط الأدنى	741,7			65
27				
43 بوليفيا	6,9	570	0,6	26
57 تايلاند	54,4	1,000	4,0	9
60 جامايكا	2,4	1,070	1,5	-
65 تركيا	53,8	1,280	2,6	26
71 المكسيك	83,7	1,760	2,3	6
76 البرازيل	144,4	2,160	3,6	22
مجموعة الدخل المتوسط الأعلى	326,3			68
24				
80 جنوب أفريقيا	34,0	2,290	0,8	-
84 الأرجنتين	31,5	2,520	0,0	5
88 ترينداد	1,2	3,350	0,9	4
90 البرتغال	10,3	3,650	3,1	16
91 اليونان	10,0	4,800	2,9	8
93 ليبيا	4,2	5,420	-2,7	33
مجموعة الدخل المرتفع	784,2			
97 السعودية	14,0	6,200	-3,8	-
100 إسرائيل	4,4	8,560	2,7	5
104 استراليا	16,5	12,340	1,8	α
105 المملكة المتحدة	57,1	12,810	1,8	α
112 فرنسا	55,9	16,090	2,5	α
118 الولايات المتحدة	246,3	19,840	1,6	α
120 اليابان	122,6	21,020	4,3	α
121 سويسرا	6,6	27,500	1,5	α

α = بيانات/إحصائيات اليونسيف، نسبة الأمية أقل من 5%.

المصدر: World Bank. (1990)
جدول 1.2 نصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي (بالدولار الأمريكي) لبلدان مختارة في سنة 1992

الترتيب بين البالغين	السكان (1992)	نصيب الفرد من معدل النمو			مجموعتان نسبة الأمية
		إجمالي الناتج القومي	1980-92	العمر عند الولادة	
		1992 (\$)			
مجموعة الدخل المنخفض	3,191,3	390	3,9	62	40
1 موزمبيق	16,6	60	-3,6	44	67
18 الهند	883,6	310	3,1	61	52
21 نيجيريا	101,9	320	-0,4	52	49
27 غانا	15,8	450	-0,1	56	40
28 الصين	1,162,2	470	-	69	27
32 سيريلانكا	17,4	540	2,6	72	12
37 إندونيسيا	184,3	670	4,0	60	23
مجموعة الدخل المتوسط الأدنى	1,418,7	2,490	-0,1	68	-
43 ساحل العاج	12,9	670	-4,7	56	46
44 بوليفيا	7,5	680	-1,5	60	23
68 جامايكا	2,4	1,340	0,2	74	2
75 تايلاند	58,0	1,840	6,0	69	7
80 تركيا	58,5	1,980	2,9	67	19
85 تشيلي	13,6	2,730*	3,7	72	7
مجموعة الدخل المتوسط الأعلى	477,7	4,020	0,8	69	15
80 جنوب أفريقيا	39,8	2,670	0,1	63	-
92 البرازيل	153,9	2,770	0,4	66	19
99 المكسيك	85,0	3,470	-0,2	70	13
100 ترينداد	1,3	3,940	-2,6	71	-
102 الأرجنتين	33,1	6,050	-0,9	71	5
107 اليونان	10,3	7,290	1,0	77	7
108 البرتغال	9,8	7,450	3,1	74	15
109 السعودية	16,8	7,510	-3,3	69	38
مجموعة الدخل المرتفع	828,1	4,222,160		77	-
110 أيرلندا	3,5	3,412,210	75	-	-
112 إسرائيل	5,1	1,913,220	76	-	-
116 أستراليا	17,5	1,617,260	77	α	α
117 المملكة المتحدة	57,8	2,417,790	76	α	α
124 فرنسا	57,4	1,722,260	77	α	α
127 أمريكا	255,4	1,723,240	77	α	α
131 اليابان	124,5	3,628,190	79	α	α

α = بيانات/إحصائيات اليونسكو، نسبة الأمية أقل من 5%

* = تم تعديله من 2,510

المصدر : World Bank (1994)

1988 و 1992 لعدد من الدول، ولا يشير إلى ضخامة الفجوة بين الدول الأكثر تقدماً وغيرها من الدول فحسب ولكن ما هو أكثر إثارة للقلق اتجاه تلك الفجوة إلى الاتساع عندما بدأ العالم الثالث في التمزق أو الانقسام. ففي سنة 1992 م لم يكن هناك اختلاف حقيقي بين إندونيسيا وهي أعلى دولة في مجموعة الدول ذات الدخل المنخفض وبين كوت دي فوار (ساحل العاج) وهي أدنى دولة في مجموعة الدول ذات الدخل المتوسط. وبسبب التنقيحات الإحصائية فإن دولة تشيلي التي تمثل قمة مجموعة الدول ذات الدخل المتوسط -الأدنى تظهر وكأن لديها إجمالي ناتج قومي فردي أعلى من جنوب أفريقيا التي تمثل أسفل مجموعة الدول ذات الدخل المتوسط- الأعلى. ولم تتراجع السعودية من مجموعة الدول ذات الدخل المرتفع فحسب، بل حدث أيضا اتساع للفجوة بينها (يبلغ نصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي فيها 7510 دولارا) وبين إيرلندا التي تمثل أدنى مجموعة الدول ذات الدخل المرتفع (بإجمالي ناتج قومي فردي يبلغ 12210 دولارا) والذي يقترب كثيرا من نصيب الفرد في إسرائيل.

ورغم تلك الاستحداثات فقد شهدت السنوات الأخيرة حالة من الاستياء وعدم الرضا عن استخدام هذا المؤشر لقياس مستوى التنمية. وترجع أسباب هذا الاستياء في البداية إلى صعوبة مقارنة نصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي للدول نظرا للتغيرات الواسعة والتقلبات الشديدة والمفاجئة في أسعار الصرف مما يجعل الاعتماد الصرف على الإحصاءات يعطي نتائج مضللة. ثم إن المؤشر ذاته لا يمكن أن يعطينا فكرة واضحة عن كيفية الاستخدام الفعلي للموارد الاقتصادية المتاحة، والتي لا يتسنى لها أن تؤدي إلى مزيد من التنمية إلا إذا أعيد توجيهها إلى استثمارات أو برامج رفاهية اجتماعية.

ونتيجة لذلك كان لا بد من الاعتماد على مؤشرات اقتصادية واجتماعية وسياسية متعددة للحصول على صورة أكثر وضوحا لما يجري. وتشمل المؤشرات الاقتصادية القوة الشرائية الفعلية للعملة بناءا على معيار الاحتياجات اليومية، ومستوى الادخار، ومستوى الاستثمار الصناعي، وعدم المساواة في الدخل والثروة. أما المؤشرات الاجتماعية فتتضمن متوسط العمر المتوقع عند الولادة، ومستوى الوفيات بين المواليد، ونسبة الأطباء إلى عدد السكان، ونسبة الأطفال في المدارس، ونسبة البالغين القادرين على القراءة والكتابة. أما المؤشرات السياسية

فمنها الاستقرار الحكومي، وتكرار (تعدد) الانتخابات، وعدم الميل نحو التدخل العسكري. وقد تم استخدام دليل أو مؤشر التنمية الإنسانية¹² (HDI) Index Human Development لأول مرة في تقرير التنمية الإنسانية الذي نشر ضمن برامج الأمم المتحدة للتنمية في سنة 1990م. حيث تم ترتيب الدول وفقاً لمعيار واحد يتضمن مؤشرات اجتماعية مثل متوسط العمر المتوقع عند الولادة، ومستوى تعليم البالغين، ولكنه تضمن أيضاً مظاهر اقتصادية واجتماعية مثل القوة الشرائية الأساسية. ورغم ما طرأ على دليل التنمية الإنسانية (HDI) من تعديل وتحوير منذ ذلك

جدول 3.1 دليل التنمية الإنسانية HDI لدول مختارة في 1988

الترتيب	توقعات العمر عند الولادة	المستوى التعليمي	إجمالي الناتج المحلي/الفردى الحقيقي المعدل	دليل التنمية الإنسانية	إجمالي الناتج القومي/الفردى (-)	HDI
ترتيب HDI						
مجموعة دول التنمية الإنسانية المنخفضة						
	55,8	1,55	0,355	1,170	0,355	
173	43,9	500	0,44	0,191	0,44	غينيا
170	42,4	1,020	7-	0,209	7-	سانت ليون
159	46,5	921	14	0,252	14	موزمبيق
139	51,9	1,360	6	0,348	6	نيجيريا
135	59,7	1,150	12	0,382	12	الهند
29	55,4	930	1-	0,382	1-	غانا
مجموعة دول التنمية الإنسانية المتوسطة 68,0						
	1,93	946,2	0,649	0,644	0,649	
94	70,5	2,650	49	0,644	49	الصين
90	71,2	2,170	38	0,665	38	سيريلانكا
113	60,5	5,144	6	0,530	6	بوليفيا
54	68,7	3,670	28	0,789	28	تايلاند
65	73,3	4,840	22	0,749	22	جامايكا
68	66,7	5,142	10	0,739	10	تركيا
63	65,8	3,885	11-	0,756	11-	البرازيل
93	62,2	5,207	33-	0,650	33-	جنوب أفريقيا
79	62,4	5,289	38-	0,703	38-	ليبيا
67	68,7	120,5	36-	0,742	36-	السعودية
مجموعة دول التنمية الإنسانية الأعلى						
	2,53	120,5	0,886	0,853	0,886	
37	71,1	5,234	6	0,853	6	الأرجنتين
35	70,9	2,252	11	0,855	11	ترينداد
42	74,4	5,211	5-	0,838	5-	البرتغال
25	77,3	5,307	10	0,874	10	اليونان
19	76,2	5,339	6	0,900	6	إسرائيل
7	76,7	5,337	11	0,925	11	أستراليا
10	75,8	5,345	9	0,919	9	المملكة المتحدة
6	76,6	5,371	7	0,927	7	فرنسا
8	75,6	5,347	1	0,925	1	أمريكا
3	78,6	2,70	0	0,929	0	اليابان

¹² لمزيد من التفاصيل حول هذا المصطلح انظر الفصل العاشر.

1-	0 ,931	5 ,370	2 ,75	77 ,8	2 سويسرا
10	0 ,932	5 ,347	2 ,80	77 ,2	1 كندا

المصدر: (1994) United Nations Development Programme

الوقت لتلافي الانتقادات السابقة إلا أن المبدأ الأساسي الذي يؤكد على أن الرفاهية العامة لشعب دولة ما والذي يمكن التعبير عنه من خلال عدد صغير من المؤشرات الرئيسية لا يزال صامدا ويحظى بالاهتمام (برامج الأمم المتحدة للتنمية: 1994).

ويمكننا بوضوح استخلاص بعض الملاحظات العامة من خلال جدول (1.3) الذي يستند إلى إحصاءات عام 1988. فبالمقارنة مع جدول (1,1) يتضح لنا أنه في حالة استثناء أثر أسعار الصرف فإن الاختلافات داخل الدول ذاتها يمكن أن تكون بنفس الأهمية إن لم تكن أكثر أهمية من الاختلافات بين الدول بعضها البعض. فأعلى نسبة للفقر توجد في جنوب آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، حيث تحتوي منطقة جنوب آسيا على 30% من سكان العالم، لكنها في المقابل تحوي أيضا ما يقارب نصف فقراءه. وبينما يبلغ متوسط العمر المتوقع في الدول المتقدمة 76 سنة ، فإنه ينخفض إلى 56 سنة في جنوب آسيا وإلى 50 سنة في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وعلاوة على ذلك فإن تلك الآثار تنعكس في التباينات الواسعة في داخل دول العالم الثالث ذاتها. ففي المكسيك (التي بلغ متوسط العمر فيها 70 سنة في سنة 1990) يقل معدل العمر المتوقع للحياة للشريحة الأكثر فقرا (10 % من السكان) في المجتمع المكسيكي بعشرين سنة عن الشريحة الأكثر ثراء (تبلغ 10% من السكان).

مستقبل العالم الثالث

يمكن أن تكون نظرتنا إلى مستقبل العالم الثالث متفائلة، كما يمكن أن تكون تلك النظرة متشائمة. وتتبع النظرة التفاؤلية لمستقبل العالم الثالث مما يلي:

- يعتبر النمو الاقتصادي لدول العالم الثالث جيدا في حالة مقارنته بالنمو الاقتصادي لدول العالم المتقدم الآن عندما كانت في نفس مرحلة التنمية.
- ازدياد حصة صناعات دول العالم الثالث في أسواق الدول المتقدمة.
- تشهد دول العالم الثالث ارتفاعا ملحوظا في متوسط العمر المتوقع للأفراد ، ومعرفتهم القراءة والكتابة.. الخ.

أما النظرة التشارؤية فتتبع مما يلي:

□ ما تزال الفجوة الاقتصادية بين العالم الثالث والعالم الأول هائلة. حيث يبلغ نصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي في سويسرا إلى 36080 دولارا سنويا، أي ما يعادل ثلاثة عشر ضعفا لمثيله في البرازيل، وأكثر من 601 مرة لنصيب الفرد من إجمالي الناتج القومي في موزمبيق (World Development Report 1994, 1992 figures). ومع أن الاقتصاد البرازيلي ينمو نموا جيد إلا أن موزمبيق تعاني من الركود الاقتصادي. ولذلك فإن أهلها يبدو ضئيلا جدا ليس للحاق بسويسرا ولكن حتى للوصول إلى مستوى البرازيل. ومن سخرية الأقدار أن يحدث أفضل مستوى للنمو في العالم الثالث في أكثر دولة ثراء. ويظهر ذلك التباين الصارخ في كل المناطق الرئيسية في العالم. ففي أفريقيا على سبيل المثال تتمتع دولة بوتسوانا بواحد من أسرع معدلات النمو في العالم بينما تقع بقية دول المنطقة ضمن مجموعة الدول الأقل نموا باقتصاديات راكدة أو على حافة الانهيار. وتظهر التناقضات حتى في داخل الدول نفسها، ففي إندونيسيا مثلا، هناك تباين واضح بين جزيرة جاوه الغنية وجزيرة سومطره الفقيرة.

□ ثمة فجوة واسعة جدا في مجال الطاقة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ويبدو أن الحل الوحيد لتقليص تلك الفجوة يتمثل في اكتشاف مزيد من النفط والغاز الطبيعي.

□ ازدياد اتساع الفجوة الاجتماعية داخل دول العالم الثالث وكذلك بين معدلات متوسط العمر المتوقع عند الولادة والصحة والتعليم ومعرفة القراءة والكتابة ... الخ في دول العالم الثالث ودول العالم الأول.

وقد ساهم مثل هذا الانقسام والتجزئة في تعزيز الفكرة القائلة بعدم جدوى الاستمرار في استعمال مفهوم العالم الثالث بغض النظر عما حدث لدول العالم الثاني (انظر الجزء 14). ويمكن إيجاز الجدل الدائر بين المؤيدين والمعارضين حول جدوى مفهوم العالم الثالث في عدة نقاط كما يلي:

يشير الذين يرون أن المفهوم لم يفقد أهميته بعد - أولا وقبل كل شيء - إلى مؤشرات اجتماعية عامة تشترك فيها مجموعة دول العالم الثالث، فدول العالم الثالث هي التي لديها دخل فردي منخفض ونسبة مرتفعة للفقر ، وانخفاض في معدل العمر المتوقع عند الولادة ، وارتفاع نسبة الوفيات بين المواليد IMR، وقلة الفرص المتاحة للتعليم ، والخدمات الاجتماعية الأخرى. أما جغرافيا، فدول العالم الثالث هي التي تقع في الجنوب ويعاني معظمها من ظروف مناخية قاسية مصحوبة بانعدام الوسائل الاقتصادية أو التقنية لمواجهة أو التحكم في تلك

الظروف. إضافة إلى ذلك فإن معظم دول العالم الثالث كانت عرضة للاستعمار، ولم تحصل على استقلالها إلا في وقت قريب. ولكن هذه الدول بقيت خارج إطار تكتلات القوى الرئيسية خلال الحرب الباردة على الرغم من حدوث بعض التحالفات وبعض التدخلات العسكرية الخطيرة للدول العظمى. وبسبب اشتراك دول العالم الثالث في هذه الخصائص فقد كانت تميل إلى محاولة إثبات ذاتيتها بإضفاء تعريف ذاتي لها يشير إلى تكتل ثالث مثل مجموعة الـ 77 وحركة عدم الانحياز. وأخيرا، فقد احتفظ العالم الثالث بموقع هامشي في النظام الاقتصادي العالمي الذي أنشأته الاقتصاديات الصناعية الكبرى وهيمنت عليه.

في المقابل فإن القائلين بعدم جدوى مفهوم العالم الثالث في الوقت الحاضر يشيرون أولا إلى الاختلافات الواسعة داخل العالم ذاته حتى مع استبعاد الدول النفطية الغنية وبروز مجموعة "عالم رابع" تشمل الدول الأكثر فقرا. فمن الناحية الجغرافية هناك اختلافات كبيرة فيما يتعلق بإيجابيات وسلبيات الموقع الجغرافي لدول العالم الثالث (خذ على سبيل المثال الأراضي الزراعية الخصبة في الأرجنتين مقارنة بالمناطق شبه الصحراوية في إثيوبيا). وتاريخيا، توجد اختلافات واضحة في تجارب تلك الدول ليس فقط في اختلاف القوى الاستعمارية وبرامجها وإنما أيضا في اختلاف طرق الحصول على الاستقلال وتوقيته. كما كان للمواقف والتقاليد المحلية لقادة تلك الدول أثر واضح في اختلاف تجارب تلك الدول أثناء الحرب الباردة. وأخيرا، فإن المعيار الاقتصادي ذاته الذي يشار إليه كعامل ربط وتوحيد بين تلك الدول لم يعد مجديا في الوقت الحاضر حيث يبدو أن الأنظمة الاقتصادية في العالم الثالث تتغير تغيرا سريعا وخاصة مع نهوض مجموعة الدول الصناعية الحديثة وانقسام العالم الثالث على نفسه في الثمانينات. فقد شهدت دول شرق آسيا نموا سريعا بينما حدث بعض التقدم في دول جنوب آسيا في الوقت الذي حدث فيه نوع من الارتكاس لعملية التنمية في أمريكا اللاتينية مع وصول الأوضاع إلى حافة الانهيار وحدثت الكارثة الاقتصادية في عدد من دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. ويمكن إيجاز هذا الجدول في جدول (4-1).

ومع أن النظام العالمي القديم يمر بتغيرات كبيرة إلا أن الإحساس أو الإدراك القومي بالعالم المحيط لا يزال قويا حتى الآن. فهناك استمرارية في الاعتراف بالتصنيفات المطلقة كما أن هناك حجبا أو إخفاء للمساواة الحقيقية مثل تلك القائمة بين أغنياء الهند وفقراء جنوب الولايات المتحدة. ويمثل نيجل هاريس Nigel Harris ذلك الإحساس كالتالي:

"بدأ العالم الثالث كانتقاد أو ردة فعل للعالم اللامتناهي وكبرنامج للتنمية الاقتصادية والعدالة وكنموذج للإصلاح الوطني الهادف إلى خلق مجتمعات جديدة وعالم حديث.

وانتهى هذا العالم إما بموت قاداته المؤثرين أو هزيمتهم أو بقناعتهم ببساطة بالاستيلاء على السلطة الوطنية بدلا من تحقيق المساواة الدولية. وبذلك تحول الخطاب مع ضعفه إلى خطاب منمق من أجل شجار عديم الأهمية حول تسعير المواد الأولية أو تدفق رأس المال (Harris,1986, 200)

جدول 1.4 حجج المؤيدين والمعارضين حول صحة (شرعية) استخدام مفهوم العالم الثالث

المعارضون	المؤيدون
	<i>اقتصاديا:</i>
تباين شديد في داخل كل من العالم الثالث ودوله، حتى مع استبعاد دول النفط الغنية وإنشاء عالما رابعا من الدول الأفقر. مفهوم غامض ومبهم - إذ أن المجتمعات كلها تحتوي على "عوامل رابعة" خاصة بها.	دخل فردي اقل، نسبة أعلى لمن يعيشون في الفقر، متوسط اقل للأعمار، فرص الحصول على التعليم والخدمات الاجتماعية الأخرى اقل.
	<i>جغرافيا:</i>
هناك اختلاف كبير في مزايا/عيوب الموقع - قارن مثلا الأراضي الزراعية الخصبة في الأرجنتين بالمناطق شبه الصحراوية في أثيوبيا.	يقع العالم الثالث في الجنوب، ويعاني من ظروف مناخية غير ملائمة كما يفتقر إلى الوسائل الاقتصادية/التقنية للتغلب على تلك الظروف.
	<i>تاريخيا:</i>
كانت التجارب الاستعمارية مختلفة تماما ليس فقط فيما يتعلق باجندة القوى الاستعمارية المختلفة ولكن أيضا في الاختلافات في كيفية وتوقيت الحصول على الاستقلال والأهمية الاستراتيجية. أيضا نتج عن اختلاف مناطق وتقاليد ومواقف القادة القوميين تجربة متنوعة جدا للحرب الباردة.	عانى من التجربة الاستعمارية مع استثناءات قليلة مما نتج عنه تشوهات في الاقتصاديات، والحدود القومية، الخ. نظرا لبقائه خارج تكتلات القوة الرئيسية أثناء الحرب الباردة على الرغم من التحالفات الممكنة فقد كان قادرا على تحديد تعريف ذاتي، مثل مجموعة 77 وحركة عدم الانحياز لكنه كان متأثرا بعواقب الصراع بين القوى العظمى، كالصومال على سبيل المثال.
	<i>هامشيا:</i>
يتغير النظام الاقتصادي باستمرار، مثل بروز الدول الصناعية الجديدة، وتفتت العالم الثالث في الثمانينات حيث أحرزت منطقة شرق آسيا مكاسب ضخمة وحدثت بعض المكاسب في جنوب آسيا، بينما حدثت بعض الخسارة التتموية في أمريكا اللاتينية وواجهت عددا من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء كارثة.	موقف هامشي في النظام الاقتصادي الكوني الذي أنشئ ويتم المحافظة عليه بواسطة الاقتصاديات الصناعية.

انطباعات حول مستقبل العالم الثالث

يبدو أن وجهة النظر المتفائلة بمستقبل العالم الثالث مرتبطة بانطباع سياسي يمكن بشكل عام اعتباره جناحا للفكر اليميني المحافظ. وتعتبر المدرسة الكلاسيكية Neoclassical School أو الليبرالية (الجديدة) المحدثة¹³ الدعامة الرئيسية التي يقوم عليها مثل هذا الفكر. ويؤمن عدد من المنتمين له بأن "اليد الخفية العالمية" سوف تفيد في النهاية العالم الثالث وتجعله قادرا على الإنعتاق من حالة الفقر التي يعيشها في الوقت الحاضر.

أما ما يسمى بنظريات الضرر أو الوضع غيرالملائم (disadvantage theories) والتي تعرف في الغالب بنظريات (الضرر المتراكم cumulative disadvantage theories) فتشير إلى أن الضرر يضاعف الضرر على الرغم من إمكانية تحقيق نتائج طيبة، ولكن على نطاق جزئي فقط، إذا ما توفر الفهم الجيد لعملية التنمية والذي من ضمنه الاستعمال الحكيم للإجراءات التدخلية في الشؤون الاقتصادية، وتعتبر تلك السياسات والإجراءات في الغالب جزءا من سياسات إحلال

¹³ هي عبارة عن رؤية اقتصادية واجتماعية وسياسية جاء بروزها كردة فعل للآزمات الاقتصادية المستعصية التي عانت منها الدول الرأسمالية في السبعينات وهدفها الرئيسي الدفاع عن مصالح أصحاب رأس المال إلى الحد الذي دفع ببعض المنتمين إليها للقول بأن حق الملكية له الأولوية على أية حقوق أخرى بما فيها حق الحياة. وتمثل الليبرالية المحدثة أو ما يطلق عليها أحيانا بالكلاسيكية المحدثة الاتجاه المهيمن حاليا على مجالات البحث والتتظير في حقل التنمية السياسية وتركز كتابات هذا الاتجاه الذي يعتبر امتدادا لنظرية التحديث في الستينات على الدور الذي يلعبه النسق الاقتصادي في التنمية ولكن من منظور غربي محافظ . وهي تؤمن بقدرة النظام الرأسمالي على النمو المستمر وعلى تصحيح أزماته بشكل تلقائي لو ابتعدت الدولة عن التدخل في النشاط الاقتصادي وتدعو بالتالي إلى إطلاق الحرية الاقتصادية بما في ذلك إلغاء أية قيود أو تنظيمات تضعها الحكومة على الأسعار والأجور والعمالة والقضاء على الملكية العامة وتحويلها إلى القطاع الخاص. وقد تحولت هذه الرؤية إلى برامج اقتصادية وسياسات اجتماعية تم تطبيقها في عدد من الدول الرأسمالية بدءا ببريطانيا بعد وصول تاتشر إلى الحكم في 1979م ثم الولايات المتحدة بعد نجاح ريجان في انتخابات 1980م ثم سرعان ما انتشرت إلى بقية الدول الأوربية ولم تسلم منها حتى الدول النامية التي أجبرتها ديونها الخارجية على الرضوخ لشروط صندوق النقد الدولي والبنك العالمي اللذين اصبحا من اكثر المؤسسات المالية تحمسا لهذه الرؤية. ولمزيد من التفصيل حولها انظر : د. رمزي زكي- الليبرالية المتوحشة، ملاحظات حول التوجهات الجديدة للرأسمالية المعاصرة. دار المستقبل العربي، القاهرة، 1993، ص 32-45، د. عبد الله الغامدي - الأزمة الراهنة في حقل التنمية السياسية - مركز البحوث ، كلية العلوم الإدارية، جامعة الملك سعود 1996

الواردات¹⁴. وقد كانت هذه الإجراءات تمثل بالطبع الحلول التتموية التي اعتنقها بعض أوائل منظري مدرسة التبعية¹⁵ (وخاصة راول بيريش).

وينظر اليساريون اليوم إلى عملية السوق الحرة - التي اعتقد الليبراليون المحدثون أنها الوسيلة الفعالة للتغلب على الصعوبات التي تقيد العالم الثالث - نظرة تشاؤمية كنظرتهم لها في الستينيات قبل بروز وهيمنة المدرسة الليبرالية المحدثة (ولذلك فإن الموقف المناهض للتجارة الحرة يعتبر مبادرة كما يعتبر ردة فعل لموقف الليبرالية المحدثة)، فالمشكلة بالنسبة لهم ما تزال كما هي بالنسبة للدول التي لم تستفد خلال القرن التاسع عشر حيث خلقت الأسواق الحرة تبادلا غير متكافئ واستفادت منها الدول الأكثر قوة. أما الاجتماعيون الديمقراطيون أو الاصلاحيون فيقبلون تلك الصعوبات ولكنهم يزعمون بأنه يمكنهم تجاوزها عن طريق الجمع بين القيود المفروضة ذاتيا من قبل الدول الصناعية المتقدمة والعمل المتفق عليه للأمم المتحدة والوكالات الأخرى.

ومع ذلك يزعم آخرون بأن الافتراض (الذي كان حاضرا بقوة في النقاش أثناء جولة الأوروغواي للجات¹⁶ GATT، انظر الجزء 11) والقائل بأن التجارة ستتمو في غياب السيطرة لن يؤدي في النهاية - كما كان مؤملا - إلى تجاوز الفقر ولن يكون بمقدور الأفضلية المقارنة¹⁷ Comparative Advantage أو الميزة التفضيلية المقارنة أن تعادل الموقف وذلك لأن الدول الغنية لن تسمح بحدوث ذلك

¹⁴ استراتيجية اقتصادية تنموية تركز على تشجيع التنمية الصناعية من خلال الحد من استيراد المنتجات الصناعية أو تشجيع التصدير.

¹⁵ تركز هذه المدرسة، التي برزت في الستينيات كردة فعل لاختفاق نظريات التحديث في تفسيرها لحالة التخلف الذي تعيشه دول العالم الثالث الذي أرجعته إلى عوامل داخلية بحتة متمثلة في تخلف ثقافات وتقاليد تلك الدول، على هيكل التبعية والسيطرة على المستوى العالمي وتحاول أن تشرح من وجهة نظر المجتمعات النامية كيف استطاعت المجتمعات المتقدمة إنشاء والحفاظ على أنماط التبادل الاقتصادي التي تفيد دول المركز (المتقدمة) على حساب دول الهامش (المتخلفة) بتأكيدا على أن عدم المساواة في توزيع الثروة بين الدول الذي يميل لمصلحة الدول الرأسمالية المتقدمة هو السبب الرئيسي للتخلف وأن تلك الدول تعمل بوسائل مختلفة للإبقاء على ذلك الوضع من خلال روابط التجارة والتمويل والتقنية.

¹⁶ منظمة دولية مقرها جنيف هدفها

التفاوض
++++
++++
++++
++++

++++
++++ إذا كان بمقدورها إنتاجها بتكلفة أقل من الدول الأخرى. وتؤكد نظرية الميزة التفضيلية المقارنة على أنه ينبغي على الدول أن تخصص في إنتاج وتصدير تلك السلع والخدمات التي تتمتع فيها بميزة تفضيلية وأن تستورد تلك الأشياء التي تستطيع دول أخرى أن تنتجها بتكلفة أقل.

كما أنها لم ولن تعتمد على السوق الحرة وتجاوزت بخسارة تلك الفوائد. ويطلق على مثل هذه المقولة أحيانا مصطلح "البنائية"¹⁸، ومع ذلك فإن مصطلح البنائية يعتبر مضللا نوعا ما كما هي الحال مع مصطلحات الليبرالية المحدثة والتقليدية وذلك لأن المزايم المتعلقة بالسوق تؤكد على بناء ما أو آخر، فأحيانا هناك بناء التجارة الدولية وأحيانا أخرى يوجد بناء الرأسمالية العالمية. لكن "البنائية" تنطبق في العادة على مدرسة الماركسية التقليدية والماركسية المحدثة ونظريات التبعية باتجاهاتها الماركسية والماركسية المحدثة وغيرها.

بناءا عليه فإن هناك منظورات مختلفة لمستقبل العالم الثالث، وماهية التنمية تبعا لاختلاف المدارس الفكرية؛ فالليبراليون المحدثون يرون أن الصعوبات الرئيسية التي تواجه التنمية في العالم الثالث تتمثل في التقاليد العتيقة والتدخل الحكومي اللذان يعملان على الحد من القوى الديناميكية للمبادرة الشخصية والمنافسة. ويظهر هنا مدى تأثير هذه المدرسة بأفكار علماء الاجتماع الأمريكيون وخاصة تالكوت بارسونز Parsons وسيمور مارتن ليبست Lipset اللذان حاولا التعرف على المزايا الخاصة لكل من المجتمع التقليدي والمجتمع الحديث.

وفي إطار الترابط بين التصنيع والتنمية فإن معظم المدارس الفكرية تقبل بذلك ولا يرتاب في أهمية التصنيع إلا المدارس الراديكالية. ويمكننا أن نشير - من بين هؤلاء على وجه الخصوص - إلى جماعات الخضر¹⁹ The Greens والمفكرين المنادين بالمساواة الجنسية نظرا لإبداعاتهم وأهدافهم الخاصة، على الرغم من أن كلا منهم لديه أسبابه الخاصة للارتباب في مثل هذا الربط بين التصنيع والتنمية. فبينما يعارض الخضر التصنيع انطلاقا من منطق حجتهم المشكك في افتراض النمو ذاته، فإن الكتاب المنادون بالمساواة الجنسية لا يثقون في الطبيعة الخاصة بالمجتمع الصناعي كما هي عليه الآن حيث يرفضون قيمه الذكورية ولا يرون هناك إمكانية لتنمية متوازنة بدون المشاركة الكاملة للمرأة في عملية التنمية. ومرة أخرى يمكننا إيجاز المواقف المختلفة للمدراس الفكرية المتنافسة من خلال الجدول (5، 1) مع ضرورة الحذر من النظر إليها كتعريفات جامدة.

¹⁸ يشير هذا المصطلح إلى الترابط والتداخل السياسي-الاقتصادي (في علاقة بنائية) بين أي زوج من الكيانات على سبيل المثال: البرجوازية والبروليتارية، المركز والمحيط، الشمال والجنوب. حيث يقوم عدد من العوامل مثل المعونات الخارجية والاستثمار المباشر بربط تلك الكيانات ببعضها البعض. ويشار إلى أن هناك جدلا كثيرا حول ما إذا كان ينبغي تغيير أو إصلاح الظروف البنائية وماهو الوقت الامثل للقيام بذلك.

¹⁹ جماعات الخضر هي جماعات ضغط تهدف إلى إقناع الحكومات أو الضغط عليها لتبنى سياسات اقتصادية لا تؤثر سلبا على البيئة.

موضوعات الكتاب

تعتبر البيئة والتنمية هما الموضوعان التوأم لهذا الكتاب . فقد أثرت البيئة ولا تزال تؤثر في سياسات ومجتمعات العالم الثالث في نفس الوقت الذي تتعرض فيه البيئة لتهديد متزايد نتيجة لتأثير التنمية عليها إلى الحد الذي أصبح يشكل تحديا لحدود القدرة الإنسانية على التكيف.

ولسبب منطقي تنظر دول العالم الثالث عموما إلى التصنيع وتعتبره مفتاح التنمية ، إذ أنه هو الشيء الذي تمتلكه الدول الصناعية المتقدمة وتفتقر إليه دول العالم الثالث ، لكن الأحوال قد تغيرت وأصبح رأس المال اللازم للتنمية يأتي من الخارج، وبالتالي فقد شجعت الصين في الثمانينات الاستثمار الخارجي في التصنيع. إلا أنه بالنظر إلى أن تنمية دولة ما لا يهتم كثيرا الشركات الأجنبية المستثمرة فيها فإن الضرر المترتب على مثل ذلك الوضع يكمن في أنه سيعني ببساطة نوعا من التنمية المحدودة بدلا من التنمية الشاملة لدولة ما من دول العالم الثالث. ولذا يجب أن تحتوي التنمية الفعالة على قدر من التحسن الحقيقي في نوعية الحياة لغالبية السكان بدلا من أن تكون قاصرة على النخب الحاكمة ذات التوجهات الغربية. ولذلك فإن البلدان الأكثر نجاحا في مجال التنمية في السنوات الأخيرة هي بالتأكيد تلك التي تتوزع فيها الثروة على أوسع نطاق. ولأسباب سوف نناقشها لاحقا فإن نوعية التنمية يجب أن تتضمن كل أوجه الحياة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية . أما نقل تلوث العالم الأول المرتبط بالتصنيع أو استمرار الأنظمة التسلطية المدعومة من الغرب فلا يمكن أن يعتبر تنمية.

إضافة إلى ذلك فإننا سوف نركز فيما تبقى من الجزء الأول على البيئة الطبيعية وعلى شكل وبناء العالم الثالث وعلى العوامل الجغرافية التي ساهمت في منحه هويته المتميزة وذلك في (الفصل الثاني). وسيناقش (الفصل الثالث) بالتفصيل طبيعة الأزمات والمشاكل التي تواجه العالم الثالث.

أما الجزء الثاني فسوف يكون التركيز فيه على البيئة الإنسانية لدول العالم الثالث بدءا بالإطار الاقتصادي (الفصل الرابع) والإطار الاجتماعي (الفصل الخامس) والإطار الثقافي (الفصل السادس)، وصناعة القرار المتعلق بتلك الجوانب.

وبعلاج الجزء الثالث على وجه الخصوص السياسة في العالم الثالث مركزا على مشكلة بناء الدولة (الفصل السابع)، والمشاركة السياسية (الفصل الثامن) ، والدور الخاص للقوات المسلحة (الفصل التاسع) ، والضغط الدولي التي تؤثر على تشكيل الحياة والمجتمع في دول العالم الثالث (الفصل العاشر).

ونعود في الجزء الرابع إلى قضايا السياسة: الحق في التنمية (الفصل الحادي عشر) ، ودور المرأة والسكان في العالم النامي (الفصل الثاني عشر)، والسياسة الدولية للبيئة وتنامي الانقسام بين الشمال والجنوب (الفصل الثالث عشر) ونستعرض في الفصل الختامي بعض التوقعات حول المستقبل القريب.

1.5 جدول وجهات النظر مقارنة

المنادون بالمساواة الجنسية	الرؤية الدينية للعالم	الرفوة الدينية للعالم	أنصار البيئة/ الخضر	الديمقراطيون الاجتماعيون/ الاصلاحيون	النائية/ التبعية	نظرية الضرر المتراكم	الليبرالية/ الكلاسيكية المحدثة	المؤيدون
V. Shiva, Boserup, etc.	جون بول الثاني، آيات الله	بروندتلاند، السلام الأخضر	UNCTAD	براندت، مختلفة	باران، سمير أمين، مدارس	ميردال	OECD	روسو، ميردال
متشائمون بشكل عام	الإيمان بالألفية السعيدة	متشائمون بشكل عام	متفائلون بحذر	درجات متفاوتة من التفاؤم	متفائلون بشكل عام	متفائلون/ تساخط الاثار الإيجابية من الأعلى إلى الأسفل	التفاؤل/الت شاؤم	
دور المرأة في عملية التنمية	الإتقاز الشخصي المتديمة	التنمية المستديمة	الانقسام بين الشمال والجنوب، الاحتياجات الأساسية	النظام الاقتصادي العالمي، البناء الطبيقي العالمي	اقتصاديات التنمية	آية الأسواق، التوازن	محور الاهتمام	
يسيطر عليها الرجال ولذلك فهي مشوهة	أجنبية وبالتالي فهي مشوهة	ذات اثر مدمر لا يمكن إصلاحه	خاضعة لسيطرة البلدان الصناعية المتقدمة	تستغل العالم الثالث	جيدة فقط للمناطق المزدهرة وليس لغيرها	تقوم بنقل المزايا والفوائد الحسنة	النظرة تجاه الشركات العبر قومية	
النساء	الفقراء، الحلما ، المضطهدون	كل الكائنات الحيّة على الإطلاق إلا أن فقراء العالم سيكونون الأسرع تضرا	الجنوب	المحيطة أو الهامشية	العالم الثالث بشكل عام	سوف تستفيد في نهاية الأمر	الفتات الأكثر عرضة للتاثر	
النساء	الإله	تقييد النمو والحد	الحوار بين	نظرا لوجود	إمكانية للهروب	التحرر	الحل	

سببها الرجال	الإله سيوفر الحماية	الأزمة الأخطر التي تواجه البشرية في عصرنا	التكولوجية	تصبل إلى الاعتماد على الحلول	نتاج للرأسمالية ويتمثل الحل في ثورة اجتماعية	تلوث مصدر من الدول المتقدمة	غير مهمة وسيحلها السوق في الوقت المناسب	المشاكل التنموية
		من التلوث وتشجيع العودة إلى الحالة الرعوية الريفية	الأمم المتحدة	الشمال والجنوب، عمل منسق من قبل الأمم المتحدة	لامساواة بنائية فان الهروب ممكن في حالاتين فقط هما سقوط الرأسمالية أو الاستقلال	مع تدفقات رأس المال من البلدان الغنية	والانطلاق أمر حتمي	التنموي للتخلف

